االمحاضرة الاولى :الأسس الفلسفية للمناهج السياقية

ثمة صلة قوية للفلسفة بأكثر من حقل معرفي ، منها النقد الادبي ولعل ما يؤكد ذلك عبارة "الفلسفة أم العلوم"،التي يرددها الباحثون والدارسون ، وهناك من العلوم من نشأ بين أحضان اللفلسفة والحق أن العلاقة بين الفلسفة والنقد الادبي قديمة قدم التفكير البشري ،وهي متشابكة ومتداخلة وكل منهما يرفد الاخر.

ولا شك أن العودة الى التاريخ النقدي ستظهر أن الفلسفة المثالية ارتبطت بافلاطون في حين تنسب الفلسفة الواقعية أو العقلية الى ارسطو ،ثم تفرعت فلسفات أخرى من هذين الاتجاهين الكبيرين مثل: الفلسفة الوضعية ،والفلسفة التجريبية ،والفلسفة المادية وغيرها .

ان النقد لا ينبثق من فراغ ، أو يتولد من عدم وانما يقوم اساسا على فلسفة تسنده ،وقبل حصر الفلسفات التي قام عليها النقد السياقي ،يحسن بنا اولا تحديد مفهومه .

لقد انتشر النقد السياقي في منتصف القرن التاسع عشر ، وفكرة السياق على ما يذهب اليه ستولينيتز "من أقوى افكارالقرن التاسع ععشرتأصلا وأعظمها تأثيرا ،والمقصود بها هو أن الشيءلا يمكن أن يفهم منعزلا ، وانما يفهم فقط بدراسة أسبابه ونتائجه وعلاقاته المتبادلة" . -1-

ولعل من أبرز أسباب التي أدت الى ظهور المناهج السياقية هو الرغبة في الابتعاد غن الاحكام الذاتية بجعل النقد علما أومتشبها بالعلم .

يعرف النقد السياقي بانه اضاءة للنص الابداعي من الخارج ، وذلك باستثماركل ما يحيط بالنص من سياقات تاريخية ،واجتماعية ،ونفسية لما للنص من شبكة غلاقات بينه وبين تلك السياقات .

المناهج السياقية (دراسة النص من الخارج) "اذ تدرس النصوص الادبية في ظروف نشأتها و السياقات الخارجية لها ، والتأثيرات التي يتوقع للنص أن يؤثر فيما يحيط به ، ويمكن أن تشمل كل الدراسات النقدية التي تجعل النص الادبي وحده مدار اهتمامها ، أي أنها تتوسل بوسائل خارجية ليست من داخل النص نفسه " . -2-

وبتعبير اخر فالمناهج السياقية وفق ما يرى الباحث قطوس "هي المناهج التي تعاين النص من خلال اطاره التاريخي ، أوالاجتماعي أو النفسي ،وتظهر السياق العام لمؤلفه أو مرجعيته ومنها التاريخي أوالاجتماعي أوالنفسي ، وهي دعوة ضمنية للالمام بالمرجعيات الخارجية والسياقات المحيطة بالمبدع بغية دخول النص " -3-

وباختصار شديد نقول انه "النقد الذي يعمل على ربط الادب بكل ما يحيط به من مظاهر اجتماعية ،وحالات نفسية ،وامتداد تاريخي " -4-

1-الاتجاهات السياقية في النقد ،مقال منشور بمنتديات ستار تايمز بتاريخ05-07-2012.

2-احمد عبدالله خضر،المناهج السياقية والنسقية،ص14 .

3- بسام قطوس ،دليل النظرية النقدية المعاصرة ،ص 21 .

4-محمد عروس ،النقد السياقي ،مجلة اشكالات ،مجلد 8 عدد 1 2019 ،ص220 .

فالنقد السياقي اذن يقوم على استثمار الملابسات الخارجية في تناوله للنص ،وتعمل المناهج السياقية عند ممارستها العملية النقدية على استغلال العناصر الخارجية في عملية القراءة ،والتحليل ،واصدار الاحكام . ويبدو واضحا أن النقد السياقي يرتبط بثلاثة توجهات هي المنهج التاريخي ، والمنهج الاجتماعي ، والمنهج النفسي ولكل واحد من هذه المناهج رؤيته ومصطلحاته ومفاهيمه .

أبرز الفلسفات التي قام عليها النقد السياقي

فلسفة العلوم التجريبية : تعتمد الفلسفة التجريبية على الحس والتجربة في ايصال المعرفة،من أشهر رواد امذهب التجريبي "دفيد هيوم"، و"جون لوك" ، و"هوبز" . وبالنظر الى التطور الذي بلغته العلوم التجريبية كالكيمياء ، وعلوم الطبيعة وتطبيقها للقوانين العلمية عمد النقاد في محال النفد السياقي الى نقل الشروط التجريبية المتعلقة بهذه العلوم الى مجال النقد الادبي ، وحاولوا تطبيق قوانين هذه العلوم على النص الأدبي اعتقادا منهم أن ذلك سيكسب النص الادبي الصبغة العلمية ،والدقة،ويجرده من الأحكام الذاتية الانطباعية ، ويبعده عن التقريرية .

يقول سعد ظلام في هذا الشأن : "تطورت العلوم التجريبية مثل علوم الطبيعة والكيمياء ، تطورا هائلا ،وسرعان ما حاول النقاد أن يضعوا للادب قوانين كقوانين العلوم التجريبية فيما أمكنهم أن يسموه بالتاريخ الطبيعي للادب فطبقوا على الادباء منهج الطبيعيين في تصنيف النباتات والحيوان ، ورتبوا الادباء طبقات ، وصنفوهم في فصائل بحسب خصائصهم الادبية .

وقد طبق عليهم بعض النقاد قوانين الجنس والبيئة والزمان ، وطبق آخرون على الادب ما ذهب اليه (داروىن)في نظرية النشوء والارتقاء أو تطور الكائنات ". -1-

لقد لوحظ هذا عند كل من (سانت بوف ) و(هيبوليت تين) و(برونتيير)،الذين رتبوا الادباء في طبقات وصنفوهم في فصائل كفصائل الحيوان والنبات. -2-

الفلسفة الوضعية : ترى هذه الفلسفة أن المعرفة اليقينية هي التي تقوم على الوقائع التجريبية ، تأسست في فرنسا على يد الفيلسوف الفرنسي (اوغست كونت) ، تهتمم بدراسة الطواهر والبحث عن القوانين التي تحكم هذه الظواهر ، وكان من أظهر نتائج تأثيرها على الادب المذهب الطبيعي عند ( اميل زولا) الذي تميز بتطبيق مبادىء وقوانين العلوم الطبيعية على الادب، كما كان لهذه الفلسفة أثرها على الشعر الرمزي والتصويري وامتد تاثيرها الى النقد ايضا فانتهت به الى الى الواقعية النقدية .

الفلسفات النفسية و الاجتماعية: لقد عمد النقد السياقي في العصر الحديث الى الافادة من الفلسفة الاجتماعية ، وفلسفة التحليل النفسي ، فمن هذا الاخير اخذ النقد السياقي كل ما يتعلق باللاشعور ، وكيف يعبر عن الرغبات المكبوتة ، والعقد النفسية كعقدة "أوديب" وعقدة " الكترا ".كما تناول فكرة الانماط الاولى ، أو النماذج العليا ، أو ما يعرف بمحتوى اللاشعور الجمعي الذي قال به ( كارل يونغ) تلميذ ( سيغموند فرويد ) صاحب نظرية اللاشعور . اما الفلسفات الاجتماعية فقد استفاد النقد السياقي من الفلسفات الاجتماعية عند (دور كايم) و( أوغست كونت) و ما أبدوا من آراء وما طرحوه من نظريات عن طبيعة المجتمع، والتعبير الاجتماعي ، والصراع الاجتماعي وعلاقة ذلك بالادب .

الفلسفة الماركسية : هي في حقيقة الامر نظرية في الاقتصاد وضعها ( كارل ماركس ) مع ( انجلز ) في منتصف القرن التاسع عشر، تعتقد هذه الفلسفة بوجود بنيتين في الحياة الاجتماعية بنية تحتية وأخرى فوقية ، فالاولى أي التحتية هي المادة بكل مظاهرها الاقتصادية والانتاجية ، والفوقية هي الثقافة بما في ذلك التاريخ والفكر والنظم والادب ، وتعد البنية التحتية القاعدة التي تقوم على أساسها البنية الفوقية . والعلاقة التي بينهما هي علاقة جدلية .فأي تغيير يحدث في الاولى ينعكس على الثانية . والادب مثله مثل مكونات البنية الفوقية ، وليد البنية التحتية الاجتماعية .

1-سعيد ظلام ،مناهج النقد الادبي ،ص 13.

2- ينظر شوقي ضيف ، البحث الادبي ،ص83.

الفلسفة الوجودية : هي تيار فلسفي عرفها العصر الحديث ، من أبرزما نادت به ودعت اليه فكرة " الالتزام في الأدب " كان ذلك خلال القرن التاسع عشر ، وظهر بوضوح عند الفيلسوف الفرنسي الشهير ( جون بول سارتر ) ترى هذه الفلسفة أن الادب التزام بقضايا المجتمع وعلى الاديب أن يكون ملتزما ، وأن يتحمل مسؤليته ، وأن يعنى بتناول قضايا الصراع الداخلي في مجتمعه ، وأن لا يتنصل منها ، بل عليه أن يتخذ موقفا ايجابيا من ذلك الصراع .ان أهم ما تركز عليه الوجودية الحرية المطلقة والمسؤولية الفردية .